

السؤال

أنا فتاة عمري 23 سنة ، الصراحة أنا لا أصلي ، وإن قمت للصلاة لا أصلي كل الفروض ، والصراحة أنا أستمع للأغاني ، ولكن - والله شاهد - أن هذا الموضوع يسبب لي حالة نفسية ، أريد الصلاة ، وأريد أن أطيع الله ، وأنا أخافه ، أنا أعتز بكوني مسلمة ، وربى هو الله وحده لا شريك له ، وأحب الحبيب المصطفى وسيرته ، وتأثر عند سماع قصصه ، الحمد لله ، أكرمني الله عز وجل بأن ذهبت إلى العمرة هذه السنة ، وكنت فرحة لهذا ، ولكنني أحس أنني جاحدة ، أو لا فرق بيني وبين الكافرين لأنني لا أصلي ، حاولت كثيراً أن أداوم على الصلاة ، لكن لا أدري لماذا يحدث معي هذا ، مع العلم أنني كنت لفترة طويلة جداً لا أصلي أبداً ، وأحس أيضاً أنني أجهل أموراً كثيرة بالدين ، وأشعر أيضاً أن الله لن يتقبل مني أي عمل كان : صلاة أو زكاة أو عمرة أو غير ذلك من أمور الدين الإسلامي ، وأن مثواني لا محالة النار ، أحتاج إلى من يأخذ بيدي ، ينصحتني ، ينتشلني من حالة الضياع التي أنا فيها ، أكره كوني على هذه الحالة !!

وفوق كل هذا هناك مشكلة أخرى ، وهي أنني أشعر أنني لم أصم أياماً من رمضان ، وأنا لا أعاني من أي شيء ، أي لا يوجد هناك مانع من الصوم !!

والصراحة أنني لست متأكدة إن كانت أياماً من رمضان أو كانت من أيام شوال السنة ، فعندنا عادة في منزلنا أن نصوم هذه الأيام الست كل سنة ، فاختلطت الأمور علي ، وهذه المشكلة حدثت لي في الفتره التي كنت فيها بعيدة عن الله ، وأنا أعلم أنه من أفطر رمضان بدون سبب لا يقبل الله له صوما ، وعليه كفارة ، فماذا أفعل ؟ أرجوك ساعدني وأفدني ، أرجوك ، أنا يائسة جداً ، جعله الله في ميزان حسناتك إن شاء الله ، وجزاك عن المسلمين جميعاً خيراً .

الإجابة المفصلة

الحمد لله.

أولاً :

لا بد - أختي الفاضلة - أن تُحدِدي أولاً مكان المشكلة ثم تنطلقي في العلاج ، وإن طلبتِ منّا المساعدة في تحديدها فسنقول لك : المشكلة في نفسك أنتِ وليس في شيءٍ آخر ! ولن تكون المساعدة التي يقدمها لك الآخرون نافعة حتى تأخذي أنتِ بنفسكِ إلى النجاة .

والمشاعر التي يثبتيها في سؤالك تدل على أن مقومات الاستقامة والصلاح موجودةً فيك ، فإن المؤمن هو الذي يحاسب نفسه ويعاتبها ، ويبدو أنك تقومين بذلك .

والمؤمن يخاف تقصيره وذنوبه ، ويراها كأنها جبل يوشك أن يقع عليه ، ويظهر أنك تشعرين بذلك أيضا .

والمؤمن يرتفع بإسلامه وإيمانه ، ويعتز بانتسابه إلى هذا الدين العظيم ، ويحب نبيه الكريم محمداً صلى الله عليه وسلم ، ورسالتك تنضح بذلك !!؟

إذاً فكيف اجتمعت هذه الصفات مع التقصير في أعظم واجبات الدين ، وهي الصلاة؟!!

ليس عندنا تفسير لذلك سوى سوء إدارة النفس وضعف التحكم فيها ، وإلا فأداء الصلاة لا يستغرق جهداً ولا وقتاً ، ما هي إلا دقائق يخلو فيها المرء بربه ، يناجيه بحاجته ، ويبث إليه ثقل الدنيا ، ويشكو إليه شوقه إليه وإلى رحمته .

فإذا كانت أنفسنا لا تحتمل الالتزام بهذه الدقائق المعدودة ، فلا أظننا ننجح في حياتنا أبداً ، فإن قيادة النفس تحتاج إلى شيء من العزم والحزم ، ونحن المسلمون لم يكلفنا ربنا فوق طاقتنا ، بل لم يكلفنا ما يشق علينا ، وهو سبحانه يحب أن يتوب علينا ويخفف عنا .

قال سبحانه وتعالى : (يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ) البقرة/185

وقال سبحانه : (يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ . وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا . يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا) النساء/26-28

والصلاة رحمة فرضها الله علينا من جوده وكرمه ، من حافظ عليها وقام بحق القيام بها : رأى فضل الله تعالى علينا حين كتبها علينا ، وعرف أن الإنسان المحروم هو الذي حرم نفسه لذة الصلة بالله سبحانه .

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

(الصَّلَاةُ خَيْرٌ مَوْضُوعٍ ، فَمَنْ اسْتَطَاعَ أَنْ يَسْتَكْتِرَ فَلْيَسْتَكْتِرْ)

رواه الطبراني (1 / 84) وصححه الألباني في " صحيح الترغيب " (390) .

وانظري كيف عقب الله تعالى آيات فرض الطهارة للصلاة بقوله :

(مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهَّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) المائدة/6 .

والنبي المصطفى صلى الله عليه وسلم ، الذي تحببته وتحبين سيرته كان يقول :

(جُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ) رواه النسائي (3940) وحسنه الحافظ ابن حجر في " التلخيص الحبير " (3 / 116)

وصححه الألباني في " صحيح النسائي " .

فكيف يرضى المؤمن لنفسه أن تفوته تلك الخيرات والبركات ؟.

قال ابن القيم - رحمه الله - :

فوأسفاه وواحسرتاه كيف ينقضى الزمان وينفذ العمر والقلب محبوب ما شم لهذا رائحة ، وخرج من الدنيا كما دخل إليها ، وما ذاق أطيب ما فيها ، بل عاش فيها عيش البهائم ، وانتقل منها انتقال المفاليس ، فكانت حياته عجزاً ، وموته كمداً ، ومعاذه حسرة وأسفاً ، اللهم فلك الحمد ، وإليك المشتكى ، وأنت المستعان ، وبك المستغاث ، وعليك التكلان ، ولا حول ولا قوة إلا

بك .

" طريق الهجرتين " (ص 327) .

ولا أذكر لك هذا الكلام لأزيد اليأس الذي تشعرين به ، إنما كي تسعى جاهدة للتخلص منه ، فهو لم يصبك إلا لعجزك عن أداء أسهل الفرائض ، فعرفت أنك عن سواها أعجز .

ويجب أن لا تجعل في حياتك مجالاً لليأس في جنب الله ؛ ويجب أن تعلمي أنه سبحانه يكره القنطين : (وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ) الحجر/56 ، ويحب عباده المستبشرين برحمته وفضله ، ومن سعة كرمه أنه يغفر السيئات ، ويصفح عن الزلات ، بل قال سبحانه وتعالى : (إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً . وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحاً فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَاباً) الفرقان/70-71 ، وقد قال بعض الحكماء : " لا يأتي بالأمل إلا العمل " ، ولن يخرجك من حالة اليأس التي أوقعك الشيطان فيها إلا البدء بالعمل ، ومحاولة الالتزام بالاستقامة ،

ولو تخللها في البداية بعض النقص .

قال الله تعالى : (وَلَا تَيَاسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَبْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ) ؛ فإن الرجاء يوجب للعبد السعي والاجتهاد فيما رجاه ، والإيأس : يوجب له التناقل والتباطؤ ، وأولى ما رجا العباد ، فضل الله وإحسانه ، ورحمته ، وروحه . " إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون " ؛ فإنهم - لكفرهم - يستبعدون رحمته ، ورحمته بعيدة منهم ، فلا تتشبهوا بالكافرين . ودل هذا على أنه بحسب إيمان العبد ، يكون رجاؤه لرحمة الله وروحه . " تفسير ابن سعدي .

وأول ما يجب أن تبدئي به أن توجدي في نفسك همماً كبيراً وحرصاً عظيماً للمحافظة على الصلاة ، كما هو الهم الذي تستشعرينه لأمر الدنيا الأخرى من طعام وشراب ودراسة وزواج ونحو ذلك ، فإن كل عمل يسبقه اهتمام وتفكر ، وقد كان بعض السلف يجاهد نفسه على الإكثار من نوافل الصلاة مجاهدة عظيمة ، حتى قال ثابت البناني رحمه الله : كَابَدْتُ الصَّلَاةَ [يعني : قيام الليل] عشرين سنة ، واستمتعت بها عشرين سنة .

ولا يكفي هذا الفكر والاهتمام حتى يقوم بموازاته فكر واهتمام بوسائل المحافظة على الصلاة ، وكيف تحتالين على نفسك حتى تلتزم بما فرض الله تعالى ، والإنسان يملك قدرة كبيرة في حسن اختيار الأساليب التي تعينه على ما يريد .

احرصي أن تقومي مباشرة إذا سمعت صوت المؤذن بالتكبير ، واستشعري أنه سبحانه أكبر من كل الدنيا التي أنت منشغلة بها ، ثم اعمدي إلى محرابك لتصلي ما كتب الله لك ، ولا تنسي أن تقولي الدعاء الذي علمنا إياه نبينا صلى الله عليه وسلم دبر كل صلاة : (اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ) .

وقد ذكرت أنكم أهل بيت حريصون على صيام الست من شوال ، وهذه أمانة صلاح وإحسان تعينك على أداء الصلاة في وقتها ، حين ترين الوالدة والإخوة يقيمونها في وقتها ، واحمدي الله تعالى على ذلك ، فكم من شكاوى تأتي من أبناء يضربهم أهلهم على ترك الصلاة وخلع الحجاب ، وأنت قد أكرمك الله تعالى بالأهل الذين يعينونك على تقوى الله تعالى .

صاحبي الفتيا المصليات المستقيمات ، واطلبي منهن العون على الصلاة ، وتذكيري بها ، والتواصي عليها ، وقد يكون ذلك

خير معين لك .

وأخيرا احذري المعاصي ، فهي أساس كل داء ، والمعصية تأتي بأختها وهكذا حتى تجتمع على الإنسان فتهلكه ، فتثقل العبد عن صلاته ، وتحرمه من نورها وبركتها ، نسأل الله السلامة .

قال ابن القيم - رحمه الله - :

المعاصي تزرع أمثالها ، وتولد بعضها بعضا ، حتى يعزَّ على العبد مفارقتها والخروج منها ، كما قال بعض السلف : إن من عقوبة السيئة السيئة بعدها ، وإن من ثواب الحسنة الحسنة بعدها .

" الجواب الكافي " (ص 36) .

ثانيا :

أما سؤالك عن صيام رمضان ، وأنت تشكين في تركك صيام أيام منه من غير عذر ، فنقول لك : لا تلتفتي لهذه الشكوك ، إذ يبدو أن الغالب على ظنك أنك أدبت تلك العبادة في وقتها مع أسرتك ، وغلبة الظن كافية لبراءة الذمة ، ولا عبرة بالشك بعد ذلك .

وفي " فتاوى اللجنة الدائمة " (7 / 143) :

الشك بعد الانتهاء من الطواف والسعي والصلاة لا يلتفت إليه ؛ لأن الظاهر سلامة العبادة . انتهى .

وقال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله - :

إذا كان الشك بعد انتهاء العبادة : فإنه لا يلتفت إليه ، ما لم يتيقن الأمر .

" مجموع فتاوى الشيخ العثيمين " (14 / السؤال رقم 746) .

وفي حكم ترك الصيام بغير عذر لا يوجب لا الكفارة ، وإنما يوجب التوبة والاستغفار والقضاء ، كما سبق بيان ذلك في جواب السؤال رقم (234125) .

أسأل الله تعالى أن يكتب لك أجرک ، وأن يثبت قلبك على الحق والدين ، وأن يعيذك من الشيطان الرجيم . والله أعلم .